الفصل الأول

تعريف الذكر:

الذكر لغة يدور حول عدة معانٍ:

الأول: فقد يأتي بمعنى التذكر واستحضار الشيء، فهو بهذا المعنى ضد الغفلة والنسيان، ولكن مع الفارق فالغفلة ترك الذكر أما النسيان فتركه عن غير عمد؛ لهذا جاءت الغفلة في القرآن في معرض التحذير. كما قال ﷻ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف].

بينما النسيان ليس كذلك لعدم صدوره عن قصد، ومن هنا جاء التوجيه القرآني في قوله ﷻ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤].

الثاني: وقد يأتي الذكر بمعنى التلفظ باللسان والنطق به: ومنه قوله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾ [الأحزاب].

الثالث: وقد يأتي الذكر بمعنى الثناء. قال الزجاج: «وفلان يذكر الله أي: يصفه بالعظمة ويثني عليه ويوحده»[(١)] والثناء على الله يكون بذكر محامده، وصفاته، وأسمائه، وتقديسه، وتسبيحه، وتهليله[(٢)].

وأما الذكر اصطلاحًا: فيراد به ذكر المسلم ربه سبحانه بالثناء عليه بما هو أهله، وبسؤاله الحاجات، والالتجاء إليه لكشف الكربات.

---

(١) تاريخ بغداد (٦/ ٨٩).

(٢) المباحث العقدية المتعلقة بالأذكار، للشيخ علي بن عبد الحفيظ الكيلاني (١/ ٣٧).

obeikandl.com

فالتذكر مقصود: تذكر الله ﷻ واستحضار عظمته، حتى يكون القلب دومًا مُعظمًا لمولاه، خائفًا منه، راجيًا له.

والذكر اللساني مقصود: بالثناء على الله سبحانه بما هو أهله لأنه ثمرة الاستحضار والتعظيم، لكن الأساس هو ذكر القلب، وحضوره، واستشعاره عظمة من يذكر ويأتي تبعًا لذلك ذكر اللسان، وذكر الجوارح[1].

(١) تذكير الأبرار بكنوز الأذكار، محمد نصر الدين عويضة، وذكر الله تعالى بين الاتباع والابتداع، عبد الرحمن محمود خليفة (ص ٢٨) وما بعدها.

obeikandl.com

بواعث ذكر الله تعالى

نداء:

إلى من حبس قلبه عن موطن الغيث، ومنابع البركة، ومصادر النور.

إلى من عقر لسانه عن الهدايا الثمينة، والتحف الغالية.

إلى من أعطش حلقه، وأظمأ روحه، فاحتاج إلى الري، والارتواء من ماء الذكر ولم لا؟ وهو مدد الروح، وزاد القلب، ونور العين، وهو اللمسة الحانية، والظل الوارف، والخير العميم.

أقبل أخي واعرف قدر هذا الذكر واستدرك ما فات، وتعال لنتدبر بعضًا من فضائل الذكر لعلها تسوقك إلى مولاك، وتظفر بشرف الانتساب للذاكرين الله كثيرًا والذاكرات.

أقبل واخلع عنك قسوة قلبك، وهم دُنياك، وجواذب الأرض وأنقذ نفسك بتسبيحه، وأغث روحك بتهليلة، وثقل ميزانَك بأجل طاعة، وأسمى عبادة وامتثل أمر مولاك: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١].

obeikandl.com

بواعث الشوق ودوافع الذكر

١- إن الله ﷻ يذكر من يذكره، قال ﷻ: ﴿فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾[البقرة: ١٥٢].

قال الحسن البصري رحمه الله: «﴿فَاذْكُرُونِيٓ﴾ فيما افترضت عليكم ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ فيما أوجبت لكم على نفسي»، وقال: «إن الله يذكر من يذكره، ويزيد من يشكره».

وقال سعيد بن جبير رحمه الله: «﴿فَاذْكُرُونِيٓ﴾ بطاعتي ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بمغفرتي ورحمتي».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه»(١).

ليس العجب من فقير يلجأ إلى غني، ولا من ضعيف يلجأ إلى قوي، وليس العجب من قوله ﷻ: ﴿فَاذْكُرُونِيٓ﴾؛ إنما العجب من قوله: ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾.

من نحن حتى يذكرنا الله ﷻ إن ذكرناه؟!!

قال رسول الله ﷺ: «**قَالَ اللهُ ﷻ: يَا ابْنَ آدَمَ إِنْ ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِكَ ذَكَرْتُكَ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُكَ فِي مَلَإٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ أَوْ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ دَنَوْتَ مِنِّي شِبْرًا دَنَوْتُ مِنْكَ ذِرَاعًا، وَإِنْ دَنَوْتَ مِنِّي ذِرَاعًا دَنَوْتُ مِنْكَ بَاعًا، وَإِنْ أَتَيْتَنِي تَمْشِي أَتَيْتُكَ أُهَرْوِلُ**»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِذَا ذَكَرْتَنِي**

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ٤٦٥).

(٢) أخرجه أحمد حديث (١٢٤٢٨) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

خَالِيًا ذَكَرْتُكَ خَالِيًا، وَإِذَا ذَكَرْتَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُكَ فِي مَلَإٍ خَيرٍ مِنْهُمْ، وَأَكْثَرَ»[١].

قال يحيى بن معاذ: «يا غفول يا جهول لو سمعت صرير الأقلام في اللوح المحفوظ وهي تكتب اسمك عند ذكرك مولاك لمت شوقًا إلى مولاك»[٢].

فالمولى ﷻ يجعل ذكره مكافأة لذكرهم له، مع أن العبد حين يذكر يذكر في الأرض والله تعالى حين يذكره يذكره في الملأ الأعلى وهو الغني عنه، فأي تفضل وتكرم بعد هذا!

إنه الفضل الذي لا يفيضه إلا الله ﷻ، الذي لا خازن لخزائنه، ولا حاسب لعطاياه، الفضل الفائض من ذاته بلا سبب، ولا موجب إلا أنه هكذا، وهو ﷻ فياض العطاء.

ذلك الفضل الذي لا يصفه لفظ ولا يعبر عن شكره إلا سجود القلب بين يدي مولاه. فمن ذكر الله ذكره، ورفع قدره، وأعلى شأنه في هذا الكون العريض، ومن نسي الله نُسِيَ فهو: ضائع مغمور لا قيمة له في الأرض ولا ذكرَ لهُ في السماء.

لقد ذكر المسلمون الله؛ فذكرهم ورفع ذكرهم، ومكنهم من القيادة الراشدة، ثم نسوه؛ فنسيهم، فإذا هم همل ضائع، وذيل ذليل. والوسيلة قائمة، والطريق واضح والدعوة قائمة: ﴿فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾.

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان حديث (٥٥١)، وصححه الألباني في الصحيحة حديث (٢٠١١).

(٢) حلية الأولياء، لأبي نعيم (١٠/٥٦).

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالتذلل ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالتفضل.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بقلوبكم ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بتحقيق مطلوبكم.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بتصفية السر ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بتوفية البر.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالرهبة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بتحقيق الرغبة.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالشوق والمحبة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالوصل والقربة.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالحمد والثناء ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالمنن والعطاء.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالتوبة ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بغفران الحوبة.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالندم ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالكرم.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالإخلاص ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالخلاص.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ باللسان ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالأمان.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالافتقار ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالاقتدار.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ ذكرًا فانيًا ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ ذكرًا باقيًا.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالاعتراف ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بمحو الاقتراف.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالصدق ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالرفق.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالصفو ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالعفو.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالتعظيم ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالتكريم.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بترك الأخطاء ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بأنواع العطاء.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالحب ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بنيل القرب.

﴿فَاذْكُرُونِي﴾ بالإجلال ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ بالإفضال.

obeikandi.com

﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ﴾ بالصبر عند البلاء ﴿أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ بكشف البأساء.

﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ﴾ بالنهي عن المنكر ﴿أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ يوم العرض الأكبر.

﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ﴾ بطول السجود ﴿أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ بالعطاء والجود.

٢- ذكر الله أكبر الطاعات وأجل العبادات قال ﷻ: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

ذكره ﷻ أكبر من كل الطاعات؛ لأن المراد من كل عبادة تعبدنا الله بها أن نذكره، ونعظمه، ونقدره حق قدره، لكن ذكره سبحانه أكبر من ذكرك له.

ذكره ﷻ أكبر من أن يبقى معه فاحشة أو منكر فهو يمحق كل خطيئة[(١)].

وسُئل ابن عباس ﷺ: أي العمل أفضل؟ قال: ذكر الله أكبر[(٢)].

٣- ذكر الله باب الولاية ومنشور الهداية.

قال النبي ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: الَّذِينَ إِذَا رُؤوا ذُكِرَ اللهُ تَعَالَى»[(٣)].

وكان أبو هريرة ﷺ يُكثر من التسبيح ويقول: أدفع ديتي وأشتري نفسي رجاء أن أُعتق من النار[(٤)].

قال المناوي ﷺ: عليهم من الله سيما ظاهرة تذكر بذكره، فإن رؤوا ذُكِرَ

---

(١) تهذيب مدارج السالكين، ص٣٩٧.

(٢) شعب الإيمان، البيهقي (١/ ٤٤٨).

(٣) أخرجه أحمد حديث (٢٧٦٤٠)، وقال الأرنؤوط: حسن بشواهده، وحسنه الألباني في صحيح الجامع حديث (٢٥٥٧).

(٤) سير أعلام النبلاء، للحافظ الذهبي (٢/ ٦١٠).

obeikandi.com

الخيرُ برؤيتهم، وإن حضروا حضر الذكر معهم، فهم يتقلبون فيه كيفما حلوا فمن كان حاضر القلب بين يدي ربه وآخرته؛ فإنما يفتتح إذا لقيك بذكر الله، ومن كان أسير نفسه ودنياه؛ فإنما يفتتح إذا لقيك بدنيا، فكل يحدثك عما يطلع على قلبه فتنبه.

وكان الناس إذا رأوا أيوب السختياني رَحِمَهُ اللَّهُ في السوق كبروا لمخايل النور التي على وجهه(١).

وكان خالد بن معدان رَحِمَهُ اللَّهُ: يسبح في اليوم كثيرًا سوى ما يقرأ من القرآن، فلما مات وضع على سريره ليُغسلَ؛ جعل بأصبعه يحركها بالتسبيح(٢).

لما ذكروا الله ﷻ وانشغلوا به؛ أعطاهم فوق ما أملوا، فجعل مجرد رُؤيتهُم تُذكر بالله، أو حتى مُجرد ذِكر حدَيثَهُم.

٤- الذكر حصن من الشيطان:

فإن الشيطان يفر ويخنس عند سماع الذكر، فإذا ذكر الإنسان ربه عند دخوله المنزل لا يدخل الشيطان معه، وإذا ذكر ربه عند طعامه لم يستطع الشيطان أن يأكل معه، قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لاَ مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ؛ قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ**»(٣)، إذا ذكرت ربك عند نومك؛ فإنه لا يقربك شيطان تلك الليلة كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ:

---

(١) حلية الأولياء، أبو نعيم (٢/ ٣٤٧).

(٢) الزهد، أحمد بن حنبل (١/ ١٦٧).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٣٧٦٣).

«إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فَإِنهُ لا يَزَالَ معَكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، ولَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ»(١).

وعن ابن عباس ﷺ: «الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس فإذا ذكر الله خنس»(٢).

وفي الحديث: « . . . وَآمُرُكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ كَثِيرًا وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ، فَأَتَى حِصْنًا حَصِينًا، فَتَحَصَّنَ فِيهِ وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنَ مَا يَكُونُ مِنْ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللهِ تعالى»(٣).

وفي حديث الخروج من البيت قال ﷺ: «إِذا خَرجَ الرَّجُلُ من بَيتِهِ، فَقالَ: بِسْمِ اللَّه، تَوكَلتُ على اللَّهِ، لا حَولَ ولا قوةَ إلا باللهِ، يُقالُ لهُ: حَسْبُك، هُدِيتَ، وكُفِيتَ، ووقِيتَ، وتنحَّى عنه الشَّيطانُ»(٤).

قال أبي خلاد المصري: «من دخل الإسلام دخل في حصن، ومن دخل المسجد فقد دخل في حصن، ومن جلس في حلقة يذكر الله ﷻ فيها فقد دخل في بيته حصونًا»(٥).

٥- **الذكر يَحُط الخطايا ويُذهبُها**: فهو من أعظم الحسنات، قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٠١٨).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك برقم (٣٩٩١).

(٣) أخرجه أحمد في المسند برقم (١٧٢٠٩) وصححه شعيب الأرنؤوط، والألباني في صحيح الجامع برقم (١٧٢٤).

(٤) أخرجه الترمذي برقم (٣٤٢٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٤١٩).

(٥) الوابل الصيب، لابن القيم، ص١١١.

obeikandl.com

وقال ﷺ: «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ؛ حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»(١).

٦- **الذكر حياة للقلب**: كما أن الله تبارك وتعالى جعل من الماء كل شيء حي، وجعل الروح حياة الجسد، جعل الذكر حياة القلب كما في الحديث: «**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت**»(٢).

ومعلوم أن القلوب تحتاج إلى ما يطمئنها من طول الطريق، وقلة الزاد، وندرة الصديق، وهناك لحظات وقعها شديد، ومواقف أثرها عظيم لا يستطيع الإنسان بعجزه وضعفه أن يصمد أمامها إلا إذا كان مستنده قويًا، وملجؤه عظيمًا هنا يأتي قوله ﷻ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

والطمأنينة: هي سكون القلب إلى الشيء وعدم اضطرابه وقلقه، فالمرء يقلق ويشعر بالحيرة أمام مصائب الحياة، وعقباتها، فإذا ذكر الله تعالى، اطمئن أن كل شيء بقدره وبأمره، سكنت نفسه وشعر بالطمأنينة، وازداد إيمانه ويقينه وتعلقه بالله ﷻ.

٧- **الذكر حياة للسان**: وفي الحديث: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال: إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلاَمِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَمُرْنِي بِأَمْرٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ. قَالَ ﷺ: «**لاَ يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ** ﷻ»(٣). سؤال عبد تحير في أوليات الشرائع لضعفه وعجزه، فأخبره ﷺ بالجواب النافع: اجعل لسانك طريًا لينًا وذلك

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٠٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٠٧).

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٣٣٧٥) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم (٣٧٩٣).

بكثرة ذكر الله ﷻ. والرطوبة في الزرع من علامات حياته وصلاحيته فكذلك رطوبة اللسان من علامة صحته واستقامته، فالذاكر لله ﷻ يحفظ لسانه عن: الكذب، وقول الزور، والغيبة، والنميمة، وكل ما شابه ذلك مما يضاد حياة اللسان.

٨- **الذكر يُنجي من عذاب الله ﷻ**: عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ عَمَلًا قَطُّ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ**»(١).

٩- **الذكر يُنزل السكينة والرحمة والملائكة**: كما أخبر النبي بذلك فقال ﷺ: «**لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ ﷻ إِلَّا حَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَذَكَرَهُمْ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**»(٢).

والذكر مجالس الملائكة، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين: فليتخير العبد أحبها إليه وأولاهما به، فهو مع أهله في الدنيا والآخرة. كما قال النبي ﷺ: «**كَمَا لَا يُجْتَنَى مِنَ الشَّوْكِ العِنَبُ كَذَلِكَ لَا يَنْزِلُ الفُجَّارُ مَنَازِلَ الأَبْرَارِ، فَاسْلُكُوا أَيَّ طَرِيقٍ شِئْتُمْ، فَأي طَرِيقٍ سَلَكْتُمْ وَرَدْتُمْ عَلَى أَهْلِه**»(٣).

١٠- **الذكر يُؤمِّنُ العبدَ من الحسرة يوم القيامة**: فإن كل مجلس لا يذكر العبد فيه ربه ﷻ يكون عليه حسرة يوم القيامة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: **مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا فَتَفَرَّقُوا عَنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللهِ إِلَّا**

---

(١) أخرجه أحمد برقم (٢٢١٣٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٤٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٧٠٠).

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٧١)، وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٢٠٤٦).

تَفَرَّقُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ ذَلِكَ الْمَجْلِسُ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[١].

١١- الذكر يعدل عتق الرقاب ونفقة الأموال، والحمل على الخيل في سبيل الله ﷻ ويعدل الضرب بالسيف في سبيل الله ﷻ: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ ضَنَّ بِالمَالِ أَنْ يُنْفِقَهُ وهاب اللَّيْلَ أَنْ يُكابِدَهُ وخاف العدو أن يجاهده؛ فليكثر من سُبْحَانَ الله، وَالْحَمْدُ للهِ ولَا إِلَه إِلَّا اللهُ واللهُ أَكْبَرُ؛ فَإِنَّهُنَّ مُقدماتٌ مُجنِّبَاتٌ ومُعَقِّبَاتٌ وهُنَّ البَاقِيَاتُ الصَّالحَاتُ»[٢].

١٢- من شاء أن يسكن رياض الجنة فعليه بمجالس الذكر: قال ﷺ: «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا». قَالوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «حِلَقُ الذِّكْرِ»[٣]، أي: حلق العلم التي يذكر الله تعالى فيها.

١٣- الذكر يعدل العبادات الأخرى في الأجر والثواب: فقد ورد ذلك صريحًا في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: جَاءَ الْفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ الْعُلَى وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحُجُّونَ بِهَا، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ قَالَ ﷺ: «أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ بِأَمْرٍ إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ، إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ؟ تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ، وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ»[٤]. فجعل ﷺ الذكر عوضًا لهم، وأخبر أنهم يسبقونهم بهذا الذكر.

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٤٨٥٦)، وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٨٧).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير برقم (٨٩٩٠) وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٣٢١٤).

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٣٥١٠) وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٢٥٦٢).

(٤) أخرجه البخاري برقم (٨٠٧).

١٤- الجبال والقفار تتباهى وتستبشر بمن يذكر الله ﷻ عليها: قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إن الجبل لينادي الجبل باسمه: أمر بك اليوم أحد ذكر الله ﷻ؟ فإذا قال: نعم؛ استبشر[1].

(١) شعب الإيمان، البيهقي (١/ ٤٠٢) والمعجم الكبير للطبراني (٩/ ١٠٣).

obeikandl.com

ثواب الذكر

١- الذكر أفضل العبادات: [أفضل من الجهاد في سبيل الله، والصيام، وغيرهما]: وهذا الذكر المفضل على سائر العبادات إنما يراد به الذكر الذي اجتمع فيه قول اللسان في خضوع مع تدبر القلب في خشوع مما يورث الذاكر تعظيمًا للمولى ﷻ، وامتثالًا لأمره، وحكمه.

٢- الذكر عبادة العمر التي لم يرخص لأحد في تركها. قال محمد بن كعب القرظي: لو رُخصَ لأحد في ترك الذكر لَرُخصَ لزكريا عليه السلام «الصائم عن الكلام» ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾ [آل عمران].

ولو رخص لأحد في ترك الذكر لرخص للمجاهدين في سبيل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال][1].

٣- تميزه عن سائر الأعمال: لأن اللَّه سبحانه حينما أمر عباده بالذكر اشترط عليهم الكثرة. ولم يشترط ذلك في سائر الأعمال قال ﷻ: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾ [الأحزاب: ٤١].

٤- تميزه «بالديمومة» دون سائر العبادات: فالعبادات يفرُغُ منها المرء، وتنقضي في زمان معلوم ووقت محدد إلا الذكر فهو باق بقاء المرء على قيد الحياة لهذا فهو لازم لكل عبادة حتى بعد الانتهاء منها قال ﷻ: ﴿فَإِذَا

(١) حلية الأولياء، أبو نعيم (٣/ ٢١٥).

قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٠٠]، وقوله ﷻ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة].

فهو ينتظم الإنسان كله جسدًا وروحًا، دنيا وآخرة، ليلًا ونهارًا، صباحًا ومساءًا.

لهذا نجد كثيرًا من علمائنا سموا كتبهم في الأذكار بـ (عمل اليوم والليلة) ليظل العبد مرتبطًا بمولاه يحتمي بحماه، ويلوذ بجنابه، ويستعين بقدرته، ويستهدي بعلمه كي يخطو في حياته على هدى من ربه، ونور من دينه.

٥- **أوسع العبادات**: فالله ﷻ ما خلقنا إلا لعبادته، والذكر أجل العبادات فما شرعت أي عبادة إلا لذكره ﷻ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ [طه: ١٤].

وقال ﷺ في الحج: «**إِنَّمَا جُعِلَ الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ وَبِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ وَرَمْيُ الْجِمَارِ لِإِقَامَةِ ذِكْرِ اللهِ ﷻ**»(١). فالذكر هو لبُ كل عبادة. فمن لم يذكر الله بقلبه عند صيامه أو صلاته فعمله غير كامل، وأفضل الصائمين أكثرهم لله ذكرًا، وهكذا كل عبادة.

وهذه السعة للذكر تجعلنا نفهم لِم رَتَبَ الشارعُ عليه هذه الدرجات وتلك الأجور؟ ولم قال ﷺ: «**مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لاَ يَذْكُرُونَ اللهَ فِيهِ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً**»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد برقم (٩٠٤٠) والحاكم في المستدرك برقم (١٨٠٨) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٧٧).

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٤٨٥٧) وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٧٧).

* عبادة بهذه السعة، وذلك الشمول أيحتاج معها المرء إلى ابتداع أذكار، أو اختراع أوراد لم يشرعها المولى ﷻ؟! إن مَنْ يفعل ذلك كأنما يقول بلسان حاله: إن هذه السعة قد ضاقت بنا، وهذا الشمول قد قصر عن رغباتنا ومثل هذا لا يتفق أبدًا مع الإقرار بالشهادتين: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

obeikandl.com